

الرَّحمة في السُّنة والسيره النبويَّة.. وتطبيقاتها الاجتماعيَّة

■ محمد جمال علي

تعدُّ قيمة الرحمة من أجل القِيَم التي عمل الإسلام على تكريسها وإحيائها في نفوس البشر؛ وذلك من خلال العديد من النصوص القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة والمواقف والتطبيقات العمليَّة للرسول الكريم ﷺ، والتي تدفع جميعاً لجعل هذه القيمة من القِيَم المركزيَّة الحاكمة لعلاقة المسلم برَبِّه وبسائر المخلوقات التي خلقها الله ﷻ، وهي بذلك أصبحت قيمة تأسيسيَّة للحضارة الإنسانيَّة التي تنطلق من منظور إسلامي.

في هذه الدراسة نسعى لدراسة التطبيقات الاجتماعيَّة لقيمة الرحمة في السُّنة النبويَّة المطهَّرة؛ بهدف الكشف عن نموذج اجتماعي تطبيقي لدور هذه القيمة في بناء الحضارة الإنسانيَّة في كافة جوانبها وأبعادها، مستعينين في ذلك بأهم أحداث السيرة النبويَّة التي تجلَّت فيها قيمة الرحمة ومشتقاتها، وبأبرز الأحاديث الشريفة التي جاءت في هذا الموضوع.

وخلافاً للتناول التقليدي لقيمة الرحمة وغيرها من القِيَم الساميَّة في سيرة النبي ﷺ وأحاديثه الشريفة - والذي يتركز غالباً

■ باحث من مصر.

حول إثبات سماحة النبي رداً على خصومه ومنتقديه من المستشرقين وغيرهم، ممن يفترى عليه بأشكال مختلفة، والذي قد يتسبب أحياناً في إظهار الإسلام كدينٍ فردي انعزالي روحي - كما في بعض الديانات - غير متفاعل مع واقعه وغير معني ببناء الحضارة وكبح جماح الفساد والظلم وتحقيق العدل في الأرض - بعيداً عن هذا النمط التقليدي في تناول قيمة الرحمة في الإسلام؛ سنسعى خلال هذه الدراسة لتناول الأبعاد الحضارية السياسية والاجتماعية لهذه القيمة؛ محاولين الكشف عن رؤيته ﷺ للتطبيق الاجتماعي لقيمة الرحمة وأخص المناسبات والمواقف التي يجب أن تتجلى فيها هذه القيمة، والمناسبات الأخرى التي ربما يجب أن تغلب فيها قيم أخرى كالعدل والقصاص ومنع الظلم وغير ذلك، وكيف يمكن تفعيل قيمة الرحمة والقيم المرتبطة بها، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر؛ فننتقل بذلك من الحديث النظري المثالي الدفاعي، إلى الحديث العملي الذي يهتم بتغيير واقع المسلمين ودفعه نحو الرُقي والنهوض من حالة السبات الطويل التي تعيشها الأمة منذ قرنين من الزمان على الأقل، وذلك من خلال فهم وتطبيق سُنَّة النبي الكريم والقيم الإسلامية العليا.

قيمة الرحمة كمكوّن أساسي في علاقة الحكام بالمحكومين

ليست فقط القوة والكفاءة هي شروط تولية الحاكم المسلم في الشرع الإسلامي؛ حيث إن السُنَّة النبوية تؤكد على ضرورة أن يكون الحاكم رحيماً رقيقاً برعيته؛ بل إن الرجل القاسي غير الرحيم لا يصح أن تتم توليته على المسلمين، ويظهر ذلك في دعائه ﷺ حينما قال: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به» رواه مسلم¹، كما قال ﷺ: «إن شر الرعاء الحطمة»، والرعاء جمع راع، والحطمة هو الفظُّ الغليظ الذي يظلم الناس².

1 - الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مراجعة وتعليق: أحمد عبد اللطيف، دار الدعوة، الاسكندرية، 2010، ص 190.

2 - المرجع السابق نفسه.

بل إن السُّنة قد جرت على أن الرجل القاسي الذي لا يرحم أبناءه ولا يُلاعِبهم لا يستحق أن يكون والياً على المسلمين؛ لما سيكون فيه من الغلظة والقسوة على رعيته؛ فقد جاء في صحيح البخاري أنه قد (قَبِلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع، إن لي عشرة من الولد ما قَبِلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم»، وكذلك روي أنه قد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال تُقبِلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال: النبي ﷺ: «أوأملكُ لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»³؛ أي إن النبي قضى بأن من لا يُداعِب أطفاله ويُلاعِبهم رجلٌ

ليست فقط القوة والكفاءة هي شروط تولية الحاكم المسلم في الشرع الإسلامي؛ حيث إن السُّنة النبوية تؤكد على ضرورة أن يكون الحاكم رحيماً رقيقاً برعيته؛ بل إن الرجل القاسي غير الرحيم لا يصح أن تتم توليته على المسلمين.

قد انتزعت الرحمة من قلبه، ولعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - وهو من الخلفاء الراشدين الذين كملت الشريعة الإسلامية باجتهاداتهم التي تُعد كاشفة عن الشرع لقربهم الشديد من النبي ﷺ وسُنَّته - قد أعمل القياس، واستنتج من هذه المواقف أن الرجل غير الرحيم الذي لا يداعِب أبناءه غير جدير بحكم المسلمين ورعايتهم؛ ومن ثمَّ أمر ﷺ بتمزيق عهد كان قد كتبه لأحد الولاة المزمع توليتهم على إحدى المدن؛ وذلك لأن هذا الرجل رأى عمرَ يلاطف صبياً جاءه وجلس في حجره، فقال له والله يا أمير

المؤمنين إن لي عشرة من الأبناء ما دنا أحد منهم مني، فقال عمر: فما ذنبي إن كان الله نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مرَّ الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية⁴، ولعل

3 - صحيح البخاري، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة 1421هـ، ج 3، ص 1128.

4 - إدارة عمر بن الخطاب، موقع قصة الإسلام، أكتوبر 2006. <https://goo.gl/ErySnd>.

ووردت رواية أخرى لهذا الحديث في كتاب (الأدب المفرد) للبخاري، ولكن ذكر المحقق أنه لم يجد له سنداً، ومع ذلك فإن دلاله في هذا الموقف في غاية الأهمية وتتوافق مع السُّنة النبوية. انظر البخاري، الأدب المفرد، مكتبة الأكمّل، مقديشو، 2008، ص 35.

المتأمل في بعض البلدان العربيّة والإسلاميّة في الوقت الراهن يدرك مدى الحاجة إلى تفعيل قيم الرحمة للتخفيف من المعاناة والقسوة التي تسم علاقة الحكام بالمحكومين، وتعزيز قيم التكافل على المستوى المجتمعي الذي يبتعد نسبياً عن مستوى الحكم والسلطة.

الرحمة كأساس للعلاقات الاجتماعية

إذا غابت قيم الشريعة الإسلاميّة عن المجال السياسي، وسادت قيم الظلم والقسوة في علاقة الحكام بالمحكومين؛ فإنه يتوجب علينا الاهتمام بإعادة تفعيل قيم الشريعة على المستوى المجتمعي؛ وذلك من خلال السعي لتحقيق المقاصد الأسمى لهذه القيم، والتي تكفل تحقيق العمران والتماسك الاجتماعي والمشاركة الإيجابية لأبناء المجتمع الواحد في مناقشة مشكلات مجتمعهم والسعي لمعالجتها، وقد كفلت ما يمكننا تسميتها بـ (اقتصاديات مكارم الأخلاق) الحيويّة للمجتمع الإسلامي طوال عهود الدولة السلطانيّة، على الرغم من وجود حكومات أقرب إلى الظلم والفساد والطغيان؛ غير أن بقاء القيم الكريمة المنبثقة من الشريعة الإسلاميّة وسيادتها اجتماعياً كفل للمجتمع البقاء قوياً وحيوياً وعامراً⁵، ولعل استعادة الذاكرة الإسلاميّة للعمران في المجتمع الإسلامي القديم، ومحاولات الاستفادة منها في العصر الراهن - تُعدُّ من أنجع وسائل تخلص المجتمعات الإسلاميّة من وطأة السياسات القاسية والشاقة - التي تتبعها الحكومات تجاه شعوبها، وبناء شبكة من العلاقات الاجتماعيّة القائمة على التراحم والتكافل ومكارم الأخلاق، بعيداً عن قيم السلطة والقهر والفساد السائدة في أغلب مجتمعاتنا.

وتُعدُّ قيم التراحم والتكافل - وغيرها من القيم المشتقة عن مفهوم الرحمة - من أهم الأسس التي اهتمت الشريعة الإسلاميّة بترسيخها، وجعلها أساساً للعلاقات بين أبناء المجتمع الواحد والعائلة الواحدة والأسرة الواحدة؛

5 - للمزيد انظر: إبراهيم البيومي غانم، التكوين الاقتصادي للأخلاق في العمران، الحياة،

12 مايو 2018. <https://goo.gl/LNMN5Y>

فقد تأسس المجتمع الإسلامي النموذجي الأول في المدينة المنورة على المؤاخاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار، مع ما تحمله هذه المؤاخاة من قيم التراحم والتضامن والتكافل بين الأخوة، والتي لا تكتفي بالآثار المعنوية فقط؛ وإنما تتعدّها إلى الآثار المادية من التوارث وغيره، وقد كانت هذه المؤاخاة الخاصة لازمة لتحقيق التراحم بين أبناء المجتمع الجديد المزمع تأسيسه، حتى إذا استقر الإسلام وقويت شوكة هذا المجتمع أقرت الشريعة مجدداً بأولوية ذوي الأرحام، وألغت حق التوارث بناءً على الأخوة التي أحدثها رسول الله ﷺ⁶؛ بينما تمّ تدعيم القيم الطبيعيّة التي يجب أن يقوم

**تُعَدُّ قِيَمُ التَّرَاحِمِ وَالتَّكَاوُلِ
- وَغَيْرِهَا مِنْ القِيَمِ المَشْتَقَّةِ
عَنْ مَفْهُومِ الرَّحْمَةِ - مِنْ
أَهْمِ الأَسْئِئَةِ الَّتِي اِهْتَمَّت
الشَّرِيعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ
بِتَرْسِيخِهَا، وَجَعَلَهَا أُسَاساً
لِلْعَلَاقَاتِ بَيْنِ أبنَاءِ
المَجْتَمَعِ الوَاحِدِ وَالعَائِلَةِ
الوَاحِدَةِ وَالأُسْرَةِ الوَاحِدَةِ.**

عليها المجتمع الطبيعي المستقر؛ مثل قيم التعاون والشعور بالأم باقي أعضاء المجتمع، ورعاية حقوق الجيران وصلة الأرحام، وهي في مجملها قيم يُعَوَّلُ عليها في تقوية الجماعات الفرعية التي يتكون منها المجتمع والتي يقوى المجتمع بقوتها، ويضعف وينهار تماسكه بانهارها وتفككها.

وقد وردت أحاديث نبويّة كثيرة تؤكد على هذه القيم؛ كقوله ﷺ: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»،

رواه البخاري، وقال ﷺ: «ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» رواه البخاري، وقال كذلك: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قیل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه» رواه البخاري⁷، كذلك وردت أحاديث كثيرة عن فضل صلة الرحم والتأكيد على عظم جرم قطعها؛ فقال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك»،

6 - محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 63 - 65.

7 - صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 1230.

وقال كذلك: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله»، وورد عنه كذلك أنه قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»⁸، كما ورد عنه أنه قال «لن تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أفشوا السلام بينكم، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا»، قالوا: يا رسول الله: كلنا رحيم، قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكن رحمة العامة، رحمة العامة»⁹، وتؤكد هذه الأحاديث على عظمة اهتمام الإسلام بتوطيد أواصر التراحم والتواصل المجتمعي، والحفاظ على النواة الأولى التي يتكوّن منها المجتمع، وهي الأسر والعائلات الكبيرة التي يجب أن يظلّ التواصل بين أفرادها قائماً؛ حفاظاً على المجتمع ذاته من الانهيار.

إمهال العدو ورحمته عسى أن يهديه الله تعالى

من المقاصد المهمة التي تجلّت لقيمة الرحمة في أحداث السيرة مقصد إمهال أعدائه عسى أن يهديهم الله تعالى أو يهدي ذريتهم للإسلام؛ فبعد اعتداء أهل الطائف عليه وإهانته بصورة بالغة، وصلت إلى حد تسليط الصبيان عليه، وضربه بالحجارة، وإشاعة الخبر بين العرب للتقليل من شأنه، وليشمت فيه أهل مكة؛ بعد هذا كله رفض رسول الله ﷺ أن تنتقم له ملائكة القهار بإطباق الجبال على أهل الطائف قائلاً: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً»¹⁰، كما تجلّت الرحمة بهذا المقصد في تعامله مع أهل مكة بعد فتحها؛ إذ أنكر على أحد صحابته وهو سعد بن عباده زعيم الأوس حينما صاح قائلاً: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً»، فقال ﷺ: «بل اليوم يوم المرحمة، اليوم تعظم

8 - صحيح مسلم، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار البيان العربي، القاهرة، 2006، ص 1222.

9 - محمد بن علي بن جميل المطري، نبي الرحمة محمد رسول الله، شبكة الألوكة، ص 45. متاح على الرابط: <https://goo.gl/9ZwTsA>

10 - محمد الصادق إبراهيم عرجون، محمد ﷺ .. منهج ورسالة.. بحث وتحقيق، هدية مجلة الأزهر، عدد شهر المحرم 1438هـ، ج 13، ص 93، 94.

الكعبة، اليوم أعز الله قريشاً»، وأمر بنزع الراية من سعد وإعطائها لابنه حتى لا يجد في نفسه غضاضة، كما أمر أصحابه بالأبى يقاتلوا إلا من قاتلهم، وأعطى الأمان لمن دخل دار أبي سفيان أو الحرم أو أغلق عليه بابه، ثم خاطب القرشيين المحتمين بالحرم قائلاً: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: «أخ كريم وابن أخ كريم»، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»¹¹.

وكان النبي ﷺ قد آمن جميع أهل مكة عدا أربعة هم الأشدّ عداوة للإسلام، وكان من هؤلاء عكرمة بن أبي جهل الذي هرب متوجهاً إلى اليمن، قبل أن تأتي زوجته رسول الله وتستأمن زوجها عنده، فتجلّت رحمة النبي ﷺ في هذا الموقف وأمنها له، وقد علم أنه لو عاد مستأمناً فسيعود ويحيا في ظل دولة الإسلام بعد زوال حكم الجاهليّة الذي يدفع الناس لعبادة غير الله¹²، ومن ثمّ فلا بأس من تأمين عكرمة لتأليف قلبه وهدايته إلى الدين، وقد أسلم عكرمة بالفعل وحسن إسلامه وظلّ يجاهد حتى قُتل شهيداً في سبيل الله¹³.

بشكل عام، فإنّ المُتَحَقِّق في سيرة النبي ﷺ وفي فهم أصحابه من بعده يجد أنهم ينطلقون من أن العدو ليس عدواً لشخصه وليست عداوته دائمة، وأن التوبة والرحمة تُرجى للجميع ما دام حياً.

وبشكل عام، فإنّ المُتَحَقِّق في سيرة النبي ﷺ وفي فهم أصحابه من بعده يجد أنهم ينطلقون من أن العدو ليس عدواً لشخصه وليست عداوته

دائمة، وأن التوبة والرحمة تُرجى للجميع ما دام حياً، وعلى هذا الأساس يكون تعامل المسلمين على المستوى الفردي والجماعي مع خصومهم ومنافسيهم، فلا إفراط في العداوة بحيث تنقطع الصلة بذلك العدو دائماً وأبداً، ولا إفراط في المحبة بالشكل الذي يجعل الحبيب عبداً لحبيبه وتابعاً له في ضلاله كما في هُدايه، ويظهر هذا المعنى في قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - خريج المدرسة النبويّة - إذ قال: «أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً»

11 - محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الدعوة، الاسكندرية، الطبعة الثامنة، 2008، ص 322، 333.

12 - المرجع السابق، ص 333.

13 - وقفة مع إسلام عكرمة بن أبي جهل، موقع قصة الإسلام، 16 أكتوبر 2011. <https://goo.gl/z1f8aq>

ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا يكن حبك كلفاً ولا يكن بغضك تلفاً» قيل كيف ذاك؟ قال: «إذا أحببت كلفَت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التّف»¹⁴، ونفهم من ذلك أن العاطفة القلبية لا تقود وحدها تصرفات المؤمن الكيس الفطن، وهذا المعنى ربما يجوز لنا حمله على المستوى السياسي، وخاصة مستوى السياسة الخارجية والعلاقات الدولية للبلدان الإسلامية.

الرحمة بالأطفال كأساس تربوي ومدخل لتوطيد العلاقات بين أبناء المجتمع

أتينا من قبل على ذكر بعض الأحاديث التي وردت في رحمة الأطفال وتقبيلهم، ودلالاتها على أهلية من يفعل ذلك لحكم المسلمين ورعايتهم، وعدم أهلية من يمتنع عن ذلك للحكم؛ بسبب قسوته المتوقعة على رعاياه، أما ما نقصده في هذا المقام فهو مكانة قيمة الرحمة في العملية التربوية بشكل عام، سواء في علاقة الرجل بصغار أهل بيته، أو بأطفال المدينة التي يحيا فيها والطرق التي يمرُّ بها بشكل عام، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً في رعاية الأطفال ورحمتهم سواء كانوا من صغار أهل بيته أو من أبناء عامة المسلمين، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن الأمة من إماء المدينة - أي الطفلة الصغيرة من أطفالها - لتأخذ بيده الشريفة فتنتلق به حيث شاءت، كما جاء عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم، واقتدى به صحابته في ذلك¹⁵، كما قال صلى الله عليه وسلم : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»¹⁶، ومما لا شك فيه أن مثل هذه التصرفات إذا كانت هي ديدن الكبار من أبناء المجتمع؛ فإنها مدعاة لتعميق الترابط بينهم؛ إذ إن المرء يسعد سعادة بالغة إذا وجد غيره من الرجال يداعب أطفاله ويلاعبهم ويحنو عليهم، ويكون ذلك دافعاً له ليكرر الفعل ذاته مع أبناء غيره، وبذلك تسود المودة بين الكبار في

14 - الإمام البخاري، الأدب المفرد، مرجع سابق، ص 402.

15 - رياض الصالحين، مرجع سابق، ص 180.

16 - الأدب المفرد، مرجع سابق، ص 112.

المجتمع، ويتعلم الأطفال الحب والوصال بين أبناء المجتمع الواحد من هذه الممارسات الأبوية الحانية.

وقد أبلغنا النبي ﷺ بعظم أجر من يعول أبناءه الصغار ويرفق بهم ويقوم بحقوقهم، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابتهاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ، فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار» رواه مسلم. وعنه أنه قال: «من

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبي ﷺ كان أرحم الناس بالعيال، كما روى أبو هريرة أنه قد أتى رجل النبي ﷺ ومعه صبي، فجعل يضمه إليه، فقال النبي ﷺ: «أترحمه؟» قال: نعم، قال: «فأله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين».

عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضمَّ أصابعه (رواه مسلم) ¹⁷، كما وردت أحاديث كثيرة تُبيِّن مدى رحمة النبي بأطفال أهل بيته ومداعبته إياهم، فعن يعلى بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودُعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه فجعل يمرّ مرة ها هنا ومرة ها هنا، يُضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه فقبّله، ثم قال النبي ﷺ: «حُسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب الحسن والحسين، سبطان من الأسباط» ¹⁸.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبي ﷺ كان أرحم الناس بالعيال، كما روى أبو هريرة أنه قد أتى رجل النبي ﷺ ومعه صبي، فجعل يضمه إليه، فقال النبي ﷺ: «أترحمه؟ قال: نعم، قال: فأله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين» ¹⁹، وعنه أيضاً أنه قال: كان مع رسول الله ﷺ رجل، فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذيه، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه، فقال له

17 - رياض الصالحين، مرجع السابق، ص 90، 91.

18 - الأدب المفرد، مرجع سابق، ص 113.

19 - المرجع السابق، ص 116.

النبي ﷺ: «هلا عدلت بينهما؟!» أي في التقييل والجلوس على الفخذ²⁰، وبذلك يدعو النبي ﷺ لمراعاة شعور الأطفال منذ الصغر وعدم التفرقة بين البنين والبنات على أساس أجناسهم، وهو أمر مؤثر للغاية في تكوين شخصية الطفل وفي سوائه النفسي.

كما عُرف النبي ﷺ بالتجاوز عن أخطاء الصغار وعدم محاسبتهم عليها لعدم تكليفهم، مع تقديم النصح والإرشاد لهم، فقد ورد عن أنس بن مالك وقد كان خادماً للنبي ﷺ في طفولته أنه قال: «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجتُ حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس، اذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله» رواه مسلم، فكان رسول الله ﷺ يُمازحه ويرفق به ويتجاوز عن لعبه ولهوه عن عمله؛ احتراماً لطفولته ورغباته الطبيعية في اللعب مع الصبيان²¹.

تطبيقات قيمة الرحمة في مجال حقوق الإنسان

أحدثت شريعة الإسلام تطوراً نوعياً في طبيعة التعامل مع العبيد ومع الخدم وفي طبيعة النظرة المجتمعية لهم؛ فقد أعطاهم الإسلام حقوقاً كثيرة، وفتح الأبواب أمام تحرير العبيد، وضيق أبواب الدخول في العبودية، كما وضع حدوداً وضوابط للعلاقة بين العبد وسيده؛ فنهى عن التعذيب والضرب المبرح الذي لا يحترم آدمية العبيد ويهين كرامتهم؛ فعن أبي علي سويد بن مقرن رضي الله عنه قال: «لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها» رواه مسلم، وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا

20 - محمد بن علي بن جميل المطري، نبي الرحمة محمد رسول الله، مرجع سابق، ص 52.

21 - مداعبات نبوية مع الأطفال، موقع إسلام ويب، سبتمبر 2014. <https://goo.gl/tHQpDb>

مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً، وفي رواية فقلت: يا رسول الله هو حرٌّ لوجه الله تعالى، فقال: «أما لو لم تفعل للفتك النار» رواه مسلم²²، وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من ضرب غلاماً له حداً لم يأتِهِ، أو لطمه، فإن كفارته أن يعتقه» رواه مسلم²³،

وعنه ﷺ أنه كان يوصي بالمملوكين خيراً ويقول: «أطعموهم مما تطعمون، وألبسوهم من لبوسكم، ولا تعذبوا خلق الله ﷻ»، وقال في حديث آخر عن المملوكين: «إن إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم»²⁴.

أحدثت شريعة الإسلام
تطوراً نوعياً في طبيعة
التعامل مع العبيد ومع
الخدم وفي طبيعة
النظرة المجتمعية لهم؛
فقد أعطاهم الإسلام
حقوقاً كثيرة، وفتح
الأبواب أمام تحرير
العبيد، وضيّق أبواب
الدخول في العبودية.

ولعلّ مثل هذه القيم النبوية - خاصة في باب العبيد - هي الأقدر على مواجهة مشكلات عمالة الأطفال، الذين يتعرّضون لمعاملة سيئة من رؤسائهم؛ وذلك بدلاً من الدعاية غير المجدية التي تنظّمها الحكومات لمواجهة هذه المشكلات، والتي تنتهج أساليب متعالية على المجتمع، تردّد خطابات المؤسسات الدولية دونما تقدير لحاجات الناس وظروفهم المادية.

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه مر بالشام على أناس من الأنباط (الفلاحين من العجم) وقد أقيموا في الشمس، وصبّ على رؤوسهم الزيت! فقال: ما هذا؟ قيل: يُعذبون في الخراج، فقال هشام: أشهد لسَمْعَتِ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُعذب الذين يُعذبون الناس في الدنيا»، فدخل على الأمير فحدثه، فأمر بهم فخلّوا (رواه مسلم)، واستنتج العلماء من ذلك

22 - رياض الصالحين، مرجع السابق، ص 398، 397.

23 - المرجع السابق نفسه.

24 - البخاري، الأدب المفرد، مرجع سابق، ص 61.

حُرمة استخدام وسائل التعذيب المختلفة من أجل إكراه الفرد على الاعتراف بجريمة معينة كما هو سائد في المعتقلات والسجون في زماننا هذا، خاصة وأن النبي ﷺ قال في حديث آخر: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» رواه ابن ماجه، وَمِنْ ثَمَّ فَلَيْسَ الْمَرْءُ مَوْأَخِذًا بِمَا قَالَهُ مُكْرَهًا، وَلَا يَجُوزُ تَعْذِيبُهُ أَوْ إِهْدَارُ إِنْسَانِيَّتِهِ مَهْمَا كَانَتْ جَرِيمَتُهُ²⁵.

كذلك اهتمت السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِالْمِبَالِغَةِ فِي التَّأَكِيدِ عَلَى احْتِرَامِ الضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَحَقُوقِهِمْ، وَعَدَمِ الْجُورِ عَلَيْهِمْ أَوْ إِهَانَتِهِمْ أَوْ إِهْدَارِ كِرَامَتِهِمْ؛ فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طَرْدَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضَّعْفَاءِ؛ لِكَيْ يَسْتَمْعُوا إِلَيْهِ وَيَتَفَاهَمُوا مَعَهُ، وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ لِمَهْمِ تَطْيِيقِ الدَّعْوَةِ لِيَصِلَ إِلَى قُلُوبِ أَكْبَارِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُهُمُ النَّاسُ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ تَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لِتَوْكُّدِ أَنَّ النِّزَامَ الْاجْتِمَاعِيَّ الْجَدِيدَ الَّذِي سَيَبْنِيهِ الْإِسْلَامُ سَيَتَجَاوَزُ الظُّلْمَ الْاجْتِمَاعِيَّ الَّذِي عَرَفْتَهُ الْجَاهِلِيَّةُ، وَأَنَّ مَعْيَارَ التَّفَاضُلِ بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ لَنْ يَكُونَ بِالمَالِ وَالمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ؛ وَإِنَّمَا سَيَكُونُ بِالتَّقْوَى وَبِالْعِلْمِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُقِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: 52]²⁶.

كذلك أنكر النبي ﷺ على أبي بكر الصديق عتابه على فقراء الصحابة - وهم سلمان الفارسي وصهيب والرومي وبلال الحبشي - بسبب هجومهم على أبي سفيان عندما مرَّ عليهم، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لشيوخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فأتاهم فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي (رواه مسلم)²⁷. وروي أيضاً أنه قد مرَّ رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل

25 - الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، تقديم: محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر، ربيع الآخر 1434هـ، ص 58.

26 - رياض الصالحين، مرجع سابق، ص 89.

27 - المرجع السابق نفسه.

عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشرف الناس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يُشفع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر من فقراء المسلمين، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يُسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» متفق عليه²⁸.

وتؤكد هذه الأحاديث على رغبة الشارع الحكيم في تأسيس نظام اجتماعي جديد ينقض أسس النظام الاجتماعي الظالم، الذي كان سائداً في الجاهلية،

تتضمن الرؤية الإسلامية
بُعداً رسالياً للإنسان في
هذا الكون؛ فتجعله سيداً
فيه ومسؤولاً عن تكميره
وتحقيق الخير ومراد
الله فيه، دون إيذاء
لغيره من المخلوقات أو
إفساد للطبيعة بصورة
لا تُرضي الخالق ﷻ.

ويعطي لأهل العلم والتقوى مكانتهم ولو لم يكونوا من ذوي الأموال والثروات، وهذا النظام الاجتماعي الجديد يُعدُّ من تطبيقات قيمة الرحمة الاجتماعية التي أسست لنظرة اجتماعية جديدة للضعفاء والفقراء؛ بحيث لا يُنظر إليهم أو أنهم غير جديرين بالاهتمام أو الاحترام، وإنما يُنظر إلى علمهم وتقواهم وبذلهم لدين الله، فإن كانوا أهل علم وتقوى كانوا أحق بالاحترام والتوقير من أهل الأموال والثروات.

تطبيقات قيمة الرحمة في مجال حقوق الحيوان

تتضمن الرؤية الإسلامية بُعداً رسالياً للإنسان في هذا الكون؛ فتجعله سيداً فيه ومسؤولاً عن تكميره وتحقيق الخير ومراد الله فيه، دون إيذاء لغيره من المخلوقات أو إفساد للطبيعة بصورة لا تُرضي الخالق ﷻ، ومن هنا جاءت تعاليم الشريعة الإسلامية لتحد من طغيان النفس الإنسانية وشهواتها، التي قد تُدمر الطبيعة، وتؤدي سائر المخلوقات إرضاءً لذاتها وتحقيقاً لرغباتها، كما أن تفعيل قيم الرحمة في التعامل مع الحيوانات - التي هي مُسخرّة لمنفعة

28 - المرجع السابق، ص 86.

الإنسان - من شأنه أن ينقل الإنسانية نقلات حضارية جديدة؛ فلا يكتفي الإنسان بمجرد كونه حيواناً كسائر الحيوانات؛ يُشبع حاجاته بالوسائل نفسها التي تنتهجها الحيوانات في الغابة، وإنما يلتزم الإنسان بأداب معينة تبع من دينه ومن إنسانيته التي يتميز بها عن سائر المخلوقات، وكذلك فإن التزام الإنسان بالرحمة تجاه الحيوانات يجعله أكثر التزاماً بقيم الرحمة في تعامله مع أخيه الإنسان.

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم. كما ورد عنه ﷺ في حديث متفق عليه أنه نهى عن أن تُصبر البهائم؛ أي أن تُحبس للقتل؛ منعاً لمرورها بلحظات الرعب الشديدة قبل ذبحها، كما قال ﷺ: «عُدبت امرأة في هرة حبستها، حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها؛ إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» متفق عليه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر: تفرّقوا، فقال ابن عمر من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً (متفق عليه). ويعكس هذا الموقف تأثير التربية الإنسانية لرسول الله ﷺ في صحابته، وكيف مضى هؤلاء الصحابة الكرام ينشرون القيم الإنسانية الفاضلة، ويحاربون طغيان النفس الإنسانية وحيوانيتها في مجتمعاتهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة (طائر صغير كالعصفور) معها فرخان (ولداها)، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة تعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا رب النار» رواه أبو داود بإسناد صحيح²⁹، وروي أنه قد مرَّ على النبي ﷺ حمار قد وُسم في وجهه - أي تم كي

29 - المرجع السابق، ص 399.

وجهه لتمييزه - فقال: «لعن الله الذي وسمه» رواه مسلم، وروي أيضاً أنه رأى حماراً موسوم الوجه، فأنكر ذلك فقال: والله لا أسمه إلا أقصى شيء من الوجه، وأمر بحماره، فكُوي في جاعرتيه (ناحيتي الوركين حول الدبر)، فهو أول من كَيّ الجاعرتين. رواه مسلم؛ أي إن النبي ﷺ سَنَّ سُنَّةً جديدة في تمييز الحمير؛ حيث استبدل وسمها في الجاعرتين بوسمها في وجهها؛ لكي يكون ذلك أقل إيلاماً لها وأرحم بها، وروي أنه قد قال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني لأذبح الشاة فأرحمها، أو قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها، قال: «والشاة إن رحمتها، رحمتك الله مرتين»³⁰، وعن أبي هريرة أن

رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني، فنزل البئر فملأ خُصِّيهِ، ثم أمسكها بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل ذات كبد رطبة أجر»، كما قال ﷺ: «من رحم ولو ذبيحةً، رحمه الله يوم القيامة»³¹.

لا يجوز تعطيل الحدود أو ترك الظالمين الفاسدين ليعيثوا في الأرض فساداً بدافع الرحمة؛ حيث إن في رحمتهم ظلماً لضحاياهم من الضعفاء، ويظهر ذلك في حديث المرأة المخزومية التي سرقت وذهب أسامة بن زيد يشفع لها عند رسول الله؛ فغضب رسول الله ﷺ.

الشدة في وقتها رحمة

حرِيٌّ بنا التأكيد على أن حكمة النبي ﷺ اقتضت وضع الشيء في موضعه، فالرحمة - كخلق جميل تميّز به النبي ﷺ ولازمه في كافة أحواله - لم يكن من الممكن أن تكون هي عنوان كافة سياساته وأحكامه؛ فلا يجوز تعطيل الحدود أو ترك الظالمين الفاسدين ليعيثوا في الأرض فساداً بدافع الرحمة؛ حيث إن في رحمتهم ظلماً لضحاياهم من الضعفاء، ويظهر ذلك في حديث

30 - الأدب المفرد، مرجع سابق، ص 113.

31 - المرجع السابق، ص 116، 117.

المرأة المخزوميّة التي سرقت وذهب أسامة بن زيد يشفع لها عند رسول الله؛ فغضب رسول الله ﷺ وقال: «أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟!». ثم قام فاحتطَبَ ثم قال: «إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»³².

وكذلك حال يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ، وتحالفوا مع الأحزاب على أمل إبادة كافة مسلمي المدينة، وكان ذلك في أشد اللحظات صعوبة على المسلمين الذين ابتلوا وُزُلزلوا زلزالاً شديداً بنص القرآن الكريم؛ إذ جمع يهود بني قريظة أسلحتهم وأعدوا عدتهم للقضاء على الوجود الإسلامي بالمدينة المنورة، إلا أن فشل الأحزاب في غزو المدينة وعودتهم لديارهم خائبين قد عزل اليهود في الداخل عن حلفائهم في الخارج، فحاصروهم المسلمون حتى استسلموا، وأقرّ فيهم رسول الله حكم سعد بن معاذ الأنصاري الذي كان حليفاً لهم، والذي قضى بأن يُقتل رجالهم وتسبى ذراريهم، ففعل ذلك رسول الله مؤكداً أن هذا هو حكم الله فيهم؛ إذ إن الرحمة لهذه الفئة الخائنة تُعدُّ ظلماً لعوام المسلمين الذين كانوا سيقون أشد أنواع العذاب لو نجحت تلك المؤامرة التي تم تدبيرها ضدهم، ويُعد ذلك ردعاً لغيرهم من سلوك المسلك ذاته والتفكير بالطريقة ذاتها في التعامل مع المسلمين³³.

ونختم الدراسة بالتأكيد على أن القيم والمفاهيم التي تفيض بها الشريعة الإسلاميّة الغراء ذات قابلية كبيرة للتفعيل في واقعنا الاجتماعي المعاصر، ولا يجوز لنا الاكتفاء بالتفكير العاطفي الدفاعي الذي لا ينشغل بإعمال مثل هذه القيم في واقعنا، وتطبيقها بشكل ملموس على أرض الواقع؛ فنتيجةً لذلك لا يشعر المسلمون بتأثير دينهم في حياتهم اليومية؛ فيتحوّل الدين إلى مجرد شعائر باردة غير متفاعلة مع همومهم ومشكلاتهم، ومن

32 - رياض الصالحين، مرجع سابق، ص 189.

33 - محمد بن علي بن جميل المطري، نبي الرحمة محمد رسول الله، مرجع سابق، ص 11.

ثم يبتعدون عن الدين بالكلية، ولا يربطهم به سوى الاسم وبعض العادات والأعراف التي تمّ تحويرها وتحريفها هي أيضاً بحيث لم تعد تحمل من الإسلام سوى اسمه؛ ومن هنا نؤكد أن النظر المقاصدي الاجتماعي لقيم الشريعة الإسلامية يُعدّ أمراً واجباً على كل مُشتغل بأمور الفكر والسياسة، وكل مهتم بالشأن العام في العالم الإسلامي؛ خاصة وأن ذلك الأمر من شأنه تحقيق الاستقلال الذاتي على كافة الأصعدة، بعد أن تنطلق حركتنا من مفاهيمنا الذاتية وقيم حضارتنا وديننا كمرتكز رئيس دونما انجرار كامل خلف المفاهيم والقيم الغربية، التي لا تتفق بالضرورة مع كامل ثوابتنا الدينية والمجتمعية.

إنّ القيم والمفاهيم التي تفيض بها الشريعة الإسلامية الغراء ذات قابلية كبيرة للتفعيل في واقعنا الاجتماعي المعاصر، ولا يجوز لنا الاكتفاء بالتفكير العاطفي الدفاعي الذي لا ينشغل بإعمال مثل هذه القيم في واقعنا.

فقيمة الرحمة التي تناولتها في هذه الدراسة نجد أن لها تطبيقات اجتماعية وسياسية على درجة عالية من الأهمية؛ فتطبيقاتها الاجتماعية - من رحمة بالعامّة، وصدقة جارية، وصلة رحم وغيرها - من شأنها بناء مجتمع قوي متماسك، يتمتع بقدر كبير من الاستقلال عن بيروقراطية الدولة؛ إذ هو يتكافل ويتكاتف، ويسد احتياجاته ذاتياً من خلال الصدقة الجارية التي تمّت ترجمتها تاريخياً في نظام الأوقاف³⁴، وهي ممارسات منبعها الرحمة والتضحية والاهتمام بالشأن العام، وكذلك في

تطبيقات الرحمة السياسيّة التي تفرض أن يكون الحاكم برعيته رحيماً، وليس قاسياً متجبراً ومحمّلاً إياهم فوق طاقاتهم، فإن حدث أن ثبت ذلك يجب عزله أو منعه توليته من البداية كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رجل عرف فقط أنه لا يُقبَلُ أبناءه.

وللرحمة كذلك تطبيقات تربوية في غاية الأهمية من شأنها الحفاظ على

34 - للمزيد حول الأوقاف ودورها في ضبط علاقات الدولة والمجتمع. انظر: إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة والمجتمع في مصر، مدارات، القاهرة، 2015.



الصحة النفسيّة للأطفال، بإقرار العدل بينهم في المعاملة، وخاصة بين البنين والبنات، ومداعتهم وتقيلهم، وسلام الكبار على الصبيان في الشوارع أثناء لعبهم، وغيرها من المظاهر التربوية العظيمة التي تُعمّق أواصر الترابط بين أفراد المجتمع، وتُفشي السلام بين أبنائه، وتُصلح ذات بينهم، وكذلك فإنّ رحمة الرئيس بمرؤوسه، والقائد بجنده، وصاحب العمل بعمّاله، بل والسجان بنزلاء السجن من المتهمين والمحكومين - كل هذه تطبيقات اجتماعية لقيمة الرحمة، تجدر بالمجتمعات الإسلاميّة إعادة تفعيلها في الواقع المعاصر، بدلاً من علاقات الاستبداد التي تربط المدير بمرؤوسيه، والقائد بجنده، خاصة في الجيوش التي تعتمد نظام التجنيد الإجباري.

ولعلّ نظراتنا المتعمقة في مشكلاتنا الاجتماعيّة - إلى جانب نظراتنا المتعمقة في الشريعة الإسلاميّة وفي السُنّة النبويّة المطهّرة - من شأنها أن تُساعدنا على بلورة مشروع متكامل للتغيير السياسي والاجتماعي في البلدان العربيّة والإسلاميّة، وهو تغيير منطلق من قيمنا المرجعيّة، وقائم على شريعتنا الإسلاميّة الفراء، وهو من ثم أبعد ما يكون عن تحقيق مصالح أطراف خارجيّة تسعى لفرض قيمها ورؤاها الحضاريّة.